

2021

(دموع الحب في الشعر الأندلسي) عصر الطوائف

د. بشرى عبد عطية
جامعة بغداد - كلية الزراعة

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad>



Part of the [Arabic Language and Literature Commons](#), and the [Arabic Studies Commons](#)

Recommended Citation

(عبد عطية, د. بشرى (2021) "دموع الحب في الشعر الأندلسي (عصر الطوائف
Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal: Vol. 4 : Iss. 4 , Article 3.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad/vol4/iss4/3>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

دموع الحب في الشعر الأندلسي
(عصر الطوائف)

د. بشرى عبد عطية
جامعة بغداد - كلية الزراعة

مُقَدِّمَةٌ

لم يمر بالأدب العربي عصر من العصور لم يكن الحب فيه ينبوعاً من ينابيعه بدءاً من الشعر الجاهلي بصوره التقليدية، ولغته المفتنة، وتشبيهاته فقد كانت كل قصيدة من قصائده تقريباً تفتتح باسم حبيبة يتغنى باسمها أو وصف ديارها أو الوقوف لوداعها أو بكاء لفراقها.^(١)

وقد امتاز المجتمع الأندلسي بطبيعته الاجتماعية المفتحة على ثقافات، وأعراق وأجناس عدة، وبجمال بيئته ماوفر جواً من رغد العيش للمحبين حين أسبغ عليهم نعمة التمتع بلحظات الأنس مع أحببتهم، واللذة بقربهم فقد عرف الأندلسيون الحب وعاشوه بوجوه اختلفت باختلاف الظروف والمناسبات؛ فتارة نجد اللهو والعبث، وتارة نجد العفة في الحب^(٢)، إلا أن واقع الحال لا يضمن بين طياته شوق المحبين ولذة اللقاء فحسب، إنما يحمل في جانبه الآخر حقيقة الحياة باستحالة الوصل، واستبدال الأحوال برحيل الأحبة، وتفرق شمل العشاق و سطوة التجافي فشبح الفراق لا بد أن يحل بينهم لأسباب معروفة لهم حيناً، ومجهولة أحياناً أخرى؛ من هنا فإن الشاعر الذي عُرِفَ برقة الإحساس وعدم التخرج في التعبير عن مشاعره عند فراق أحبته عمد إلى البكاء وإراقة دمع العين وسيلة لإظهار تأثره، والكشف عن خبايا روحه؛ فكما أن العين لا تكذب فإن الدموع لا تتافق فالبكاء تعبير إنساني صادق يلجأ إليه الشاعر لتأثيره وقوته في التعبير عن المعاناة الإنسانية التي تختلج في نفسه وحيداً بعيداً عن أحب، عندها يثبت البكاء وجوده كظاهرة إنسانية مثقلة بشحنات القلق والتوتر والإحباط ليعكس الواقع

(١) ينظر: المرأة في الشعر الجاهلي/ ١١٦.

(٢) ينظر: الحب في الأندلس/ ٢٩٣.

النفسي الحزين، ويمنح لغته ملامح التعبير الإنساني محولا إياها إلى أقسى اللغات وقعاً وتأثيراً.^(١)

من هنا فإننا سنتناول الحديث عن دموع الشاعر المحب، ونرصد توجهه نحو توظيفها توظيفاً فنياً وموضوعياً فضلاً عن دورها في الكشف عن مشاعر الحب وعدّها وسيلة يصل من خلالها إلى استثارة العواطف، وتحفيزها ومن ثم الفوز باستعطاف المحبوب، وذلك من خلال البواعث الآتية:

أولاً: وداع الأحبة:

من أولى أسباب البكاء، وأشد موجبات المدامع وداع الأحبة فموقف الوداع من ((المواقف الصعبة التي تقتضح فيها عزيمة كل ماضي العزائم، وتذهب قوة كل ذي بصيرة، وتسكب عين كل جمود))^(٢)، ومن العشاق من يبكي لتلمس الأخبار أو عند ظهور المعالم ومطالعة الرسوم؛ إلا أن أكثرهم حرقة ولوعة من تقيض دموعه عند موقف الفراق^(٣)، فهذا الشاعر ابن حمديس يصور موقف وداع أحبته من بدايته بكل ما احتوى هذا الموقف المؤلم من تفاصيل وأحداث كان حضور الدمع فيه ضرورة موضوعية، ولازمة فنية حتى لم يتبق له من ذكرى أحبته إلا الدموع، ونيران الأضلع، فيقول:

ولما رأيت طير الفراق نواعباً وقد همّ بالتوديع كل مودع
شكت ما شكا المحزون من عزمة النوى فأبكت لها عيني غزال مروع
ولم أر في خدّ يزرر قبلها من الغيد شهباً في غمامة برق
وقد سمرت عن صفرة عبر الأسى لعيني بها عن وجد قلب مفجع
واقبل درّ النحر فوق تربيها يُصافحه من خدها درّ أدمع

(١) ينظر: بواعث البكاء/١٣.

(٢) طوق الحمامة في الألفه والآلاف/٨٧.

(٣) ينظر: مدامع العشاق/١٤.

دموع الحب في الشعر الأندلسي ...

فيارب أن البين أضحت صروفه عليّ وما لي من معين فكن معي
على قُربِ عذالي وبُعدِ حبائي وأموأه أجفاني ونيران أضلعي.^(١)

صور الشاعر موقف فراق الأحبة مشخصاً الدمع فيه بدور بارز فهو لم يكتفِ بذلك التشبيه المبتكر للدموع بالشهب في لمعانها، ووهجها وسرعتها وقد تجاوز لمعانها غمامة برقع المحبوبة، لكنه برع حين أضفى على الدمع سمة التشخيص فهو درُّ أقبل من عينيها ليصافح درَّ نحرها، ويقابل دموعه المتدفقة كال مياه وهو وصف مؤثر ومعبر في رسم صورة الموقف على الرغم من إيجازه، فأثبت بذلك أن اللفظ موضوع بإزاء المعنى فالشاعر تعامل مع مفردة الدمع ليس بوصفها لفظة معجمية تعبر عن مشاعر إنسانية فحسب، لكنه تعامل مع تراكيب وصور وظفت فيها هذه اللفظة فأكسبتها معاني جديدة، وخرجت بصور مبتكرة لطيفة لم تكن متوافرة لها من قبل وذلك ما يُخرج التجربة الشعورية إلى دائرة الوجود إذ ((لا وجود لمضمون عاطفي أو فكري إلا من خلال لغة تعبر عنه...))^(٢)، وبلغت مفعمة بالحركة والتوتر وبخزن يحتوي مفرداتها صور المعتمد بن عباد موقف وداع أحبته بقوله:

ولما التقينا للوداع غُدِيَّةً وقد خَفَقَتْ في ساحة القصر راياتُ
وقرَّبتُ الجُرد العناقُ، وصَفَّقَتْ طُبولٌ، ولاحَت للفرق علاماتُ
بكينا دماً؛ حتى كأن عيوننا لجرى الدموع الحمر منها جراحاتُ
وكنا نرجى الأوب بعد ثلاثة فكيفَ وقد طالت عليها زياداتُ.^(٣)

(١) ديوان ابن حمديس/٢٨٥.

(٢) مدخل إلى بنية اللغة الشعرية/٤٣.

(٣) ديوان المعتمد بن عباد/٤، وينظر: ديوان ابن خفاجة/٣٨٦.

نلاحظ أن الشاعر أدرك ضرورة حضور البكاء ومصاحبة الدمع له في هذا الموقف كون الدمع هو مصاحبة وجدانية، واستجابة انفعالية للتوتر والحزن، فاللقاء تحقق للفراق، وقرب الجرد حُفَّ بعلامات الوداع ما جعل القلوب تخفق كخفق الرايات يزيد من اضطرابها وتوترها صدى الطبول عندئذ أثبت البكاء فاعليته ولزوميته في الصورة؛ ومنسجماً معها تحول الدمع إلى اللون الأحمر كأنه يسيل من جراح لا من عيون، فالأبيات بما ترسمه من صورة بصرية وسمعية جاءت واقعية صادقة في التعبير عن خوالج النفس والآمها عند الوداع.

ومن الشعراء من جعل احمرار خد محبوبته نتيجة لحرارة الدموع المنهمرة عند الوداع كما أن اسوداد شعر صدغيها من آثاره، وهو بعنايته بتوظيف اللون في تصويره، ودقة تشبيهه يبرز دور اللون في إثراء الصورة الشعرية من جهة وقيمه لدى الشاعر الأندلسي من جهة أخرى، كما أنه في الوقت نفسه يجعل من صورة دمع محبوبته عند الوداع انعكاساً وتجسيداً لعبوته التي أضرمتها نار النوى، ويصمت عن وصف دموعه تاركاً لنا ميدان الخيال والإحساس ليبقى تسأولنا؛ إن كانت تلك دموع محبوبته فكيف حال دموعه هو، يقول ابن خفاجة:

ورُبَّ غُرَّةٍ عَبْرَى قَدْ شَرَقَتْ بِهَا فِي مَوْقِفٍ لِلنَّوَى اضْرَمَتْهُ حُرْقًا
تَخَالُ مَا أَحْمَرَّ مِنْ خَدَيْهِ مُلْتَهَبًا بِهَا، وَمَا اسْوَدَّ مِنْ صُدْغِيهِ مُحْتَرِقًا^(١)

ويطالعنا الرحيل الذي يضع الشاعر وجهاً لوجه أمام الحقيقة المرة والتي يقف عاجزاً ليس فقط عن تغييرها بل حتى عن استيعابها فيجد ظلم الفراق ومرارته طريقه إلى قلبه مع يأس وحزن دائمين مبعثه الفراق؛ وبهذا لا يجد أمامه إلا الدموع المنهمرة وسيلة للتعبير عن ذلك الهم والحزن، ويتجلى ذلك في قول ابن زيدون:

(١) ديوان ابن خفاجة/٣٧٥، وينظر: ديوان ابن حمديس/١٩٠.

دموع الحب في الشعر الأندلسي ...

بُنْتُمُ وَبْنَا فَمَا ابْتَلَّتْ جَوَانِحُنَا شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفْتُ مَاقِينَا
نَكَادُ حِينَ تُتَاجِكُمْ ضَمَائِرُنَا يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى لَوْلَا تَأْسِينَا^(١)

ويحول حزن الشاعر لفراق الحبيبة، واليأس من اللقاء الحياة إلى ألم دائم وإحساس بنار الحب والشوق تتأجج في قلبه لتحرق فؤاده؛ وتتعاظم معاناته حدَّ التبرم من الحياة، ومن حالة الحزن المتجدد في كل حين ولكون الشاعر العربي نمطاً انفعالياً تهزه المواقف وتؤثر فيه الأحداث والأقوال^(٢) فقد كان الشعر ولا زال النبض الموحى لحياة الإنسان العربي والمعبر عن الحالة النفسية، يكشف عن مكونات نفسه مستعيناً بكل ما يوصل إحساسه إلى المتلقي من هنا كانت دموع ابن السيد البطليوسي تشكو الفراق تارة، وتعلن عن مكنون نفسه من الضعف لتستعطف تارة أخرى كما عمد الشاعر إلى دفع المتلقي لمشاركته إحساس الفراق ولوعته من خلال توظيف الحوار الذي أضفى على النص بعداً تأثيرياً اشد لدى المتلقي، فيقول:

مَرَّتْ مُزْنَ عَيْنِهِ غَدَاةً تَحْمَلُوا عَوَاصِفُ رِيحِ الشَّوْقِ حَتَّى تَصَبِّبَا
دُمُوعٌ هَتَكَنَ السَّتْرَ عَنْ مَضْمَرِ الْجَوَى وَأَبْدَيْنَ مِنْ سِرِّ الْهَوَى مَا تَغْيِيبَا
خَلِيلِيَّ مَا لِي كُلَّمَا لَاحَ بَارِقٌ تَذَكَّرْتُ بَرَقًا بِالْعَفِيقِ وَزَيْنَبَا
أُونُسُ بِالنَّائِنِ نَوْمًا مُشْرِدًا وَأُطْمِعُ بِالنَّائِنِ قُلُوبًا مُعَذِّبَا
وَمَنْ لِي بَرْدَ الْخَلِّ إِذْ جَدَّتْ النَّوَى بِهِ وَبَوَصَلَ الْحَبْلُ أَنْ يَتَقَضَّبَا
أَفِي كُلِّ حِينٍ أُمْتَرَى غَرْبَ مُقَلَّةٍ أَبِي الْوَحْدُ إِلَّا أَنْ تَجُودَ فَتَغْرِبَا*

ولولا التهاب الشوق بين جوانحي لأمرع خدي بالدموع وأعشبا.^(٣)

(١) ديوان ابن زيدون/٩.

(٢) ينظر: التحليل النفسي للذات العربية، أنماطها السلوكية والأسطورية/٨٨.

(٣) شعر ابن السيد البطليوسي/٤٩-٥٠، *أمترى: أستنزل، غرب مقلة: دمع مؤخرة

العين، الوحْد: السير السريع، فتغربا: أي تتورم من كثرة البكاء

يُظهر النص الدور الذي أداه الدمع في رسم صورة الحزن التي مثلت إحساس الشاعر بالضعف لرحيل أحبته عنه فلجأ إلى دموعه التي هتكت سرّهواه، وأفشت مضمّر جواه ليحملها مشاعره ويكشف بمقدرته قيمتها التعبيرية والجمالية من دون أن يغفل إسباغ الصبغة الأندلسية على تعبيره بتوظيف الطبيعة في سائر الأغراض الشعرية فتعابير (مزن عينيّه، وعواصف ريح الشوق، وأمرع خدي بالدموع واعشب) أظهرت أن بعض الألفاظ تقود إلى معاني تحرك الوجدان ومنها الدموع هنا التي منحت النص وأسلوب الشاعر في القص تأثيراً أقوى في نفس المتلقي وأبرزت مقدرة الشاعر في اتكائه على مفردة الدمع والإبداع من خلالها في تصوير معاناته.

وغالباً ما يكون الدمع ممزوجاً بتلك المرارة الناتجة عن إحساس الشاعر بعجزه عن الصبر، ونشعر بزفريات العشق وحرارة الوجد نابعة من أعماق قلب مقسم بين قسوة وداع الحبيب، ومرارة العجز عن تحمل فراقه فيعلن الدمع حالة ضعف حاضرة لحبيبة غائبة، يقول ابن الحداد:

يا غائباً، خَطَرَاتُ الْقَلْبِ مَحْضُرُهُ	الصَّبْرُ بَعْدَكَ شَيْءٌ لَسْتُ أَقْدِرُهُ
تَرَكْتُ قَلْبِي وَأَشْوَاقِي تُفْطِرُهُ	وَدَمْعُ عَيْنِي وَأَحْدَاقِي تُحْدِرُهُ
لَوْ كُنْتُ تُبْصِرُ فِي تَدْمِيرِ حَالَتِنَا	أَنْ لَأَشْفَقْتَ مِمَّا كُنْتَ تُبْصِرُهُ
فَالْعَيْنُ دُونَكَ لَا تَحْلِي بِلَذَّتِهَا	وَالدَّهْرُ بَعْدَكَ لَا يَصْفُو تَكْدُرُهُ
أَخْفَى أَشْتِيَاقِي وَمَا أَطْوِيهِ مِنْ أَسْفٍ	عَلَى الْمَرِيَّةِ وَالْأَنْفَاسِ تُظْهِرُهُ (١)

نلاحظ أن الشاعر اتخذ من أسلوب النداء لمحبوخته منفذاً للتعبير عن تلك المشاعر المؤلمة التي يمر بها، ويجسد بمنابذته لها صراعه النفسي بين الاستسلام للفراق والرغبة الملحة في اللقاء

(١) ديوان ابن الحداد/ ٢٠٩.

والوصل بإطار من الشكوى الممزوجة باستعطاف المحبوبة من خلال عرض حاله، وما آل إليه عيشه وقد حقق ذلك من خلال تناوب استعماله للأفعال الماضية والمضارعة في تصويره لمعاناته مما كشف عن احتواء حالة الحزن له فتجاوزت أفعاله الدلالة النحوية إلى دلالة شعرية تمنح النص روح الاستمرارية على الرغم من الدلالة الماضية للأفعال التي تعني زوال الحدث مع مضي الزمن؛ إذ ((ليس الزمان هو الصورة الوحيدة المرادة من الفعل، فإن الفعل قد يدل على محض تمام الحدث))^(١).

ومن الشعراء من وجد في ذرف الدموع راحتة النفسية، وتسكيناً لألمه فهي استجابة نوعية أو رد فعل أو أثراً من آثار صعوبة يواجهها الإنسان أو يتوقعها ولاسيما إذا كانت ذاتية^(٢). من هنا كان لجوء الشاعر ابن الحداد لذرف الدموع أملاً منه في تسكين الألم هيجتها الذكرى، فيقول:

أما إنها الأعلام من هضباتها فكيف تكف العَيْنُ عَنْ عِبْرَاتِهَا؟
ذُرَانِي وَاذْراءَ الدُمُوعَ لَعَلَّهُ يَسْكُنُ مَا قَدْ هَاجَ مِنْ ذَكَرَاتِهَا^(٣)
ثانياً الشكوى:

فتحت الشكوى الباب للشاعر للبكاء وسكب الدموع، فاليأس من وصل المحبوبة والخشية من استحالة الاجتماع دفعته إلى العيش بين أمل راحل وألم مقيم فغدا دمع له لسان شكواه، ومعينه في وصف ما يقاسيه بعد الجفوة والصدود عله يجد الأذن الصاغية، والقلب الرؤوف

(١) الدلالة الزمنية في الجملة العربية/٤٦.

(٢) ينظر: أسس علم النفس العام/١٤٥.

(٣) ديوان ابن الحداد/١٦٢، وينظر: ديوان ابن حمديس/٢٩٣ - ٢٩٥.

بعدما عانى من ((توجع الكآبة، وقلق الأشواق ولوعة الفراق))^(١)،
 فيغدو دمه شهاداً على شدة وجده ودليلاً لوفائه، يقول ابن زيدون:
 ألا ليت شعري هل أصادفُ خلوةً لديك فأشكو بعض ما أنا واجدٌ؟
 رعى الله يوماً فيه أشكو صبابتي وأجفانُ عيني بالدموع شواهدُ^(٢)
 نلاحظ أن الشاعر عمد إلى أسلوب سهل وألفاظ رقيقة وتكرار
 واضح للفظ الشكوى ليحقق شدة التأثير وسرعته فبدأ بـ (ألا)
 الاستفتاحية مخرجاً إياها من دائرة الاستعمال اليومي المألوف إلى نطاق
 التعبير الشعري لتكون مع الدمع سبيلاً لإثراء تعبيره، وتسم نصه
 بالعفوية والمصادقية؛ كما أن توجع القلب يدفع الشاعر إلى الشكوى إلى
 المحبوب من دموعه جاعلاً من تبادل أطراف الصورة سبيلاً إلى شدة
 التأثير ودليلاً على معاناته إذ عوضاً عن تميز الدمع لدى الشاعر كونه
 وسيلة لأبراز لوعته إلى محبوبة والتقرب إليه بها تحول إلى الشكوى
 من دموعه إليه علّه ينال بذلك رضاه ويجد صدى لشكواه، يقول ابن
 الحداد:

مَنْ لي بأنْ أَشْكُو إِلَيْكَ مَدَامِعاً تهمني عليك وأضلعاً بك تحترق؟
 فَتَرَقَّ لي يا من غداً قلب اسمه مُتَصَحِّفاً ماضِدهُ ماضِي يَرَقُ^(٣)
 ويلجأ الإنسان إلى الشكوى عندما يشعر بالظلم والحرمان، وقد سلطت
 عاطفة الحزن أسهماً في أجساد بعض الشعراء فأصابته أكبادهم
 ، ووجهتهم نحو اعتماد نغم حزين ويأس من الحياة والصحة ليكون
 الدمع الرفيق الأقرب، يقول ابن مارتين*:

كيف لي بعدكم بطبيب الهجوع وجفوني مملوءة بدموعي
 كلُّ شيءٍ يئسْتُ منه إذا ما بنتم غير غبرتي وولوعي

(١) زهر الآداب وثمر الألباب/ ج ١/ ص ١٠١.

(٢) ديوان ابن زيدون/ ٤٦.

(٣) ديوان ابن الحداد/ ٢٣٩، وينظر: ديوان ديوان المعتمد بن عباد/ ٨.

ولكم قد شكوت مما الاقي غير أني أشكو لغير سميع^(١)

نلاحظ أنه على الرغم من غلبة الأسلوب الإنشائي إلا أن الشاعر كسر طوق جموده بتكراره وكسره للقافية؛ فتكرار ألفاظ الحزن والشكوى لم يكن مجرد كشف عن الجانب النفسي الحزين للشاعر بل غدا ذا قيمة فنية في النص عندما وظف لتقوية المعنى، وتأكيد الشكوى وليكون أثره ابلغ في المتلقي وادعى إلى تحقيق الاستجابة فضلاً عن حرف العين المكسور الذي أضفى على النص طابعاً مأساوياً.

والشكوى من ثم حاجة نفسية ملحة ارتبطت بالدموع يخفف الشاعر من خلالها من حزنه، ويتقرب بدلالاتها إلى محبه عله يرفع الحيف عنه لذا كان لابد من استحضاره لعلامات الهوى، فقد قيل: ((إن أول علامات الهوى على ذي الأدب نحول الجسم، وطول السقم، واصفرار اللون...))^(٢)، وقد أضاف المعتمد بن عباد دليلاً أشد تأثيراً تمثل في دموعه التي شبيهها بالمطر الشديد حين وصفها بالهطول، والهطل هو دوام السيلان في سكون^(٣)، وبهذا التعبير تستكمل صورة الشكوى، وتظهر براعة الشاعر في توظيف دلالة اللفظ بقوله:

من شك أني هائم بك مغرم فعلى هواك له على دلائل
لون كسسته صفرة، ومدام هطلت سحائبها، وجسم ناحل^(٤)

أما ابن حمديس فقد ألع بإضفاء الطابع الإنساني على الدمع فجعله الناطق بشكواه بعد أن صمت اللسان، وبذلك حمله دور الإعلان متجاوزاً

(١) المغرب في حلى المغرب: ج ١/ ص ٢٤٨. * هو أبو بكر محمد بن مرتين احد

قواد المعتمد بن عباد وقد استوزره الظافر بن المعتمد أثناء ولايته على قرطبة.

(٢) الظرف والظرفاء/ ٣٨، وينظر: الحب عند العرب/ ٢٤.

(٣) ينظر: الفروق في اللغة/ ٣٠٨.

(٤) ديوان المعتمد بن عباد/ ٢٣، وينظر: ديوان ابن الحداد/ ٢٢٢.

الدلالة العاطفية التي اقترن بها فاضطلع في نصه بمهمة إيصالية ،
بقوله :

الدمع ينطق واللسان صموتُ فانظر إلى الحركات كيف تموتُ
مازال يظهر كل يوم بي ضنًى فلذاك عن عين الحمام خفيتُ
صبُّ يطالب في صباية نفسه جسداً بمدية سقمه منحوتُ.^(١)

نجد الشاعر يصف حاله بصورة غاية في الايضاح ،فهو عاجز عن الحراك بل حتى ابسط الحركات تصعب عليه فهذا اللسان الذي عادة لا ينفك يتكلم نجده في حالة العاشق صموت لذا أخذ الدمع مكانه للتعبير عن حالته ليس هذا فحسب بل نجده يبالغ في وصف حالته ، فعين الموت لا تراه لأنه في تحول مستمر وهو يبحث عن نفسه المفقودة في عالم العشق، وعن جسده الذي نحتته مدية السقم والمرض كل ذلك يشكوه دمه ليرقق قلب محبوبه.

ثالثاً: الاستعطاف:

مثل الفراق تحدياً لم يقوَ الشاعر الأندلسي على مواجهته لرقّة إحساسه، ورهافة حسه لذا كان الاستعطاف ملاذه من ألمه، وحاضراً في تعبيره عن تجارب حب جلبت له الشقاء كما جعل الدمع شفيعاً لدى محبوبه، ودليلاً على صدق مشاعر حب، وعلاقة وفاء لم يحد عنها قلب الشاعر العاشق، ومن تلك النصوص التي وظف الشاعر فيها الدموع لترقيق فؤاد حبيب جفاه وروعه بتقلب حاله قول ابن حمديس:

بك يا صبور القلب هام جزوغة أوكل شيء من هواك يروعه
فإذا وصلت خشيت منك قطيعة فالعيش أنت وصولة وقطوغة
لا تتهمني في الوفاء فإنني كتمت سرك والدموغ تذيعه
نقل الهوى قلبي إلى عيني التي منها تفجّر بالباكا ينبوغة
أبكيته فأذعت سرك مكرهاً فعلام تعذلني وأنت تذيعه.^(١)

(١) ديوان ابن حمديس/٩٣.

نلاحظ أن البعد الجمالي للنص تحقق في لفظة (أنت) وحالة العشق التي مثلها دمع الشاعر وبكائه الذي جعله معادلاً موضوعياً عنه فإذا كانت عيونه ينبوعاً تفجر بالبكاء فلم يكن ذلك إلا ليستعطف بها محبوبة بعتاب ولوعة مستعينةً بالترار وما يؤديه من وظيفة إيصاله للمعنى واستثارته للمتلقى.

كما أن حاجة الشاعر للاستعطف إنما تغدو حاجة ملحة تزداد بازدياد اضطرابه النفسي الناجم من شعوره بالضعف فانبرى في تصوير مشاعره، ووصف حاله مستعظفاً بالبكاء مستثيراً متلقيه بصيغة الاستفهام المجازي وما يضيفه على النص من روح التواصل ، يقول ابن الحداد:

فكم أبكي عليك دماً ولا تـرثين للـبـاكـي!
فهل تـدرين ما تـقـضي على عيـي عيناك؟^(٢)

والشاعر المبدع هو من يشركنا في مشاعره وأفكاره بعد صياغتها فنياً ومن ثم يجعلنا نشاطره إحساسه ومدركاته، ونمنحه تعاطفنا وهو يحاور ليعرض معاناته لجفاء المحبوب ، يقول ابن زيدون:

أجفى بلا جرم، وأقصى بلا ذنب سوى أنني محض الهوى صادق الحب؟
أغاديك بالشكوى، فأضحى على القلى وأرجوك للعتبى فأظفر بالعتب
فديتك، ما للماء عذباً على الصدى وأن سمتني خسفاً، محكاً من قلبي
ولولاك ما ضاقت حشاي صبايةً جعلت قراها الدمع سكباً على سكب.^(٣)

نلاحظ في النص أن الشاعر أفاد من صيغة الاستفهام لإقرار حقيقة مشاعره، وإيصالها إلى الآخر فتسأله هنا سواء أكان موجهاً إلى

(١) ديوان ابن حمديس/٢٩٢.

(٢) ديوان ابن الحداد/٢٤١.

(٣) ديوان ابن زيدون/٥٨.

الغير أم إلى الذات فهو لم يكن إلا مفتاحاً لكوا من نفسه التي ترجو
وتستعطف وقد بدأ الشاعر بالافصاح عنها شيئاً فشيئاً حتى وصل ذروته
حين جعل من دمه قرى لصابته، وبذلك يبلغ الاستعطاف ذروته في
تشبيه لم نجده عند غيره.

وتفرض حالة الاستعطاف ولا سيما استعطاف المحب لمحبيه
ترقيق القول، وإعلان الذل وبذل الحجة، وهذا ما وظفه ابن اللبانة في
قوله:

سنانُ وردِ جماله في خده غضّ ونرجسُ مقلتيه ذابلُ
كرمت عليه لواحظي بدموعها ذلاً وهو العزيزُ الباخلُ
وكأنما هي في السماحة طيء وكأنما هو في السماحة وابلُ^(١)

نجد أن الصورة التشبيهية هنا وظفت لإبراز القيمة التأثيرية
للمدح، فالتشبيه يجمع بين ((صفات ثلاثة: هي المبالغة، والبيان،
والإيجاز))^(٢) وذلك من خلال تقريبه بين البعيدين حتى تصير بينهما
مناسبة مشتركة، وهي هنا تمثلت بغزارة دموعه وبيانها عن حالته،
وإيجازه لمراده .

ومن سبل الاستعطاف التي أخذها الشاعر فضلاً عن ترقيق
القول وإظهار التوجع كان تأكيده ترخيص دمه الغالي الذي قدم
وصفه باللؤلؤ والعلق، وتلك بلا شك ألفتاة لطيفة إذ أن رقة الشاعر
الأندلسي، وولعه بمن أحب لا يعني ابتذال دمه، ولكن الدموع الغالية
هي خير ما تستعطف بها الحبيبة، يقول ابن خفاجة:

هَنَيْدَ أَوْجَعَتْ قَلْباً قَدْ أَقَمْتَ بِهِ مَا بَالُ طَرْفِي، وَمَا يَدْرِيكَ، يَبْكِيكَ*

(١) ديوان ابن اللبانة/ ١١٣.

(٢) المثل السائر/ ج ٢/ ص ١٢٣.

دموع الحب في الشعر الأندلسي ...

فَرُبُّ لَوْلُو دَمْعٍ كُنْتَ أَذْخَرُهُ عِلْقًا أَغَالِي بِهِ، أَرْخَصْتُهُ فَيْكِ^(١)
 كما وقد تدفع هيمنت روح الحزن بالشاعر إلى مناداة باعث
 ألمه ليكشف عن قلب مثقل بشوق جعل من غزارة الدمع وحرارته
 وصدق انبعائه سبيلا إلى تمني الرضى والفوز بالمراد إذ وجد الشاعر
 في هذا الحوار تنفيساً وتعبيراً عن حالته النفسية وسبيلاً لإيصال
 إحساسه إلى المتلقي عليه يفوز باستعطافه، يقول المعتمد أبْن عباد:

وَحَاضِرَةٌ فِي صَمِيمِ الْفَوَادِ	أَغَائِبَةُ الشَّخْصِ عَنْ نَظَرِي
وَدَمْعُ الشُّؤْنِ وَقَدَرُ السُّهَادِ	عَلَيْكَ سَلَامٌ بِقَدَرِ الشُّجُونِ
وَصَادَقْتُ وَدَى سَهْلِ الْقِيَادِ	تَمَلَّكَتْ مَنِي صَعْبِ الْمَرَامِ
فِيَا لَيْتَ أَنِّي أُعْطِيَ مُرَادِي. ^(٢)	مُرَادِي لُقْيَاكَ فِي كُلِّ حِينِ

(١) ديوان ابن خفاجة/٣٧٥. *هنيذ: تصغير هند، والعلق: النفيس من كل شيء.

(٢) ديوان المعتمد بن عباد/٨.

وختاماً لما تقدم نستطيع القول :

- ❖ إن الشاعر تمكن من إخراج التجربة العاطفية الضيقة بهذا المستوى الفني والعلاقات الجمالية بين الصور على الرغم من الطابع الحزين لها، يعينه على ذلك سيطرة الأحداث على وجدانه، وثرأء عالمه الداخلي، وسعة خياله، ورقة مشاعره.
- ❖ لأن الدموع أصدق وسيلة للتعبير عن مشاعر الحب فقد اتسقت مع الألفاظ العذبة الرقيقة المناسبة للبواعث التي جسدها.
- ❖ أظهر البحث بوضوح شيوع الكسر للقافية دلالة على انكسار روح الشاعر، وإظهاراً لحالة الضعف التي تعتريه قبل ،وفي أثناء، وبعد فراق أحبته.
- ❖ برز توظيف اللون، وعدم إغفال اثر الطبيعة الاندليسة التي استحضرها الشاعر في تصوير دموعه، فكانت الأمطار والريح والبرق فضلا عن الخضرة والورد حاضرة بحسب ما يتناسب ومقتضى الحال للتعبير عن هواجس الشاعر وآلامه.
- ❖ من الشعراء من تميز بتشخيصه للدمع ليكون حاضراً وشفيعاً له لدى المحبوب.
- ❖ ولا يخفى على القارئ أمر سهولة وعذوبة الألفاظ التي استعملها الشاعر الأندلسي فهو فضلا عن تأثره بالطبيعة الأندلسية والاجتماعية المتميزة بالركة والعاطفة الجياشة كان يعبر عن أرق موضوع ممكن أن يدغدغ مشاعر الإنسان في أي مكان وزمان ألا وهو الحب والعشق، وما ينتج عنه من ترفيق مشاعر أقوى الأقوياء فكيف إذا كان ذلك الإنسان هو أندلسي أولاً وشاعر ثانياً؛ لا بد أن تكون النتيجة رقة وسلاسة تدخل قلب المتلقي من دون ابتذال أو إسراف في إيصال مشاعره إلى الطرف الآخر عبر السنين الطوال

دموع الحب في الشعر الأندلسي ...

سواء أكان ذلك الطرف الحبيبة المعنية بتلك الأشعار أم المتلقي
القارئ المنتدوق للإشعار الجميلة المشاعر الصادقة الإحساس.
❖ إن الشاعر الأندلسي وإن كانت دموعه واحدة عند بعد حبيبته عنه
إلا أنها اتخذت أشكالاً وصوراً فتارة تأخذ هذه الدموع مسار
الشكوى وتارة أخرى للاستعطاف هذا فضلاً عن تدفقها لحظة وداع
الحبيبة دلالة على انهيار كل القوى التي يمتلكها الرجل عادة أمام
إحساسه بفقدان العاطفة والحنان التي تمتلكها المرأة (الحبيبة)
تحديداً.

المصادر والمراجع

١. أسس علم النفس العام، د.أنور الشرقاوي، د.طلعت منصور، د.فاروق أبو عوف، د.عادل عز الدين، مكتبة الانجلو- القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٧٨م.
٢. بواعث البكاء ودلالاته الفنية والموضوعية في الشعر العربي قبل الإسلام، سمير جعفر الدوري- رسالة ماجستير- كلية الآداب - جامعة بغداد ١٩٩٨م.
٣. التحليل النفسي للذات العربية أنماطها السلوكية والأسطورية، د.علي زيغور، دار الطليعة- بيروت- الطبعة الأولى ١٩٧٧م.
٤. الحب عند العرب دراسة أدبية تاريخية، إعداد المكتب العلمي للبحوث - منشورات مكتبة الحياة- بيروت (د.ت).
٥. الحب في الأندلس ظاهرة اجتماعية بجذور مشرقية، جودت مدلج، دار لسان العرب- بيروت- الطبعة الأولى ١٩٨٥م.
٦. الدلالة الزمنية في الجملة العربية، د.علي جابر المنصوري، مطبعة الجامعة - بغداد- الطبعة الأولى ١٩٨٤م.
٧. ديوان ابن الحداد الأندلسي (ت ٤٨٠هـ)، جمعه، وحققه وشرحه وقدم له، الدكتور يوسف الطويل، دار الكتب العلمية- بيروت- (د.ت).
٨. ديوان ابن حمديس، تعليق، د.يوسف عيد، دار الفكر العربي- بيروت- الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
٩. ديوان ابن خفاجة، شرح، دكتور يوسف شكري فرحات، دار الجيل - بيروت- (د.ت).
١٠. ديوان ابن زيدون، شرح وتحقيق، كرم البستاني- دار صادر- بيروت - الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م.

دموع الحب في الشعر الأندلسي ...

١١. ديوان ابن اللبانة الداني، جمع وتحقيق، د. محمد مجيد السعيد، دار
الرأية للنشر والتوزيع عمان - الطبعة الثانية ٢٠٠٨م.
١٢. ديوان المعتمد بن عباد، جمعه وحققه، د. حامد عبدالمجيد، د. احمد
بدوي، راجعه، د. طه حسين، الطبعة الرابعة، مطبعة دار الكتب
والوثائق - القاهرة - ٢٠٠٢م.
١٣. زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق الحصري، تحقيق، علي
محمد الباوي - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٣م.
١٤. شعر ابن السيد البطليوسي، جمع وتوثيق ودراسة، د. رجب عبد
الجواد إبراهيم، مكتبة الآداب - القاهرة - الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
١٥. طوق الحمامة في الألفة والآلاف، الإمام أبي محمد علي بن احمد
بن سعيد ابن حزم (ت ٤٥٦هـ)، ضبطه ووضع حواشيه وقدم
له، احمد شمس الدين دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة
الخامسة ٢٠٠٨م.
١٦. الظرف والظرفاء، أبو الطيب محمد إسحاق بن يحيى الوشاء (ت
٣٢٥هـ) عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٧٧م.
١٧. الفروق في اللغة، أبي هلال العسكري، منشورات دار الآفاق
الجديدة - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٧٣م.
١٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، قدمه
وحققه وعلق عليه، د. احمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، مكتبة نهضة
مصر - ومطبعتها - القاهرة (د.ت)
١٩. مدامع العشاق، زكي مبارك، منشورات المكتبة المصرية، الطبعة
الثانية ١٣٥٣هـ.
٢٠. المرأة في الشعر الجاهلي، د. علي هاشم، مطبعة المعارف - بغداد
١٩٦٠م.

٢١. المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد الأندلسي، حققه وعلق عليه،
د. شوقي ضيف - دار المعارف - القاهرة - الطبعة الرابعة ١٩٩٣ م.
٢٢. مدخل إلى بنية اللغة الشعرية، د. علوي الهاشمي، مجلة البيان
الكويتية، ع (٨٤) سنة ١٩٨٩.

TEARS in the poetry of love in Andalusia

DR.BUShra A.ttiya

Instructor

BAGHDAD UNIVERSITY

College of Agriculture

• Abstract

- The research study concerns the tears in the poetry of love in Andalusia has been prying analysis of poetic texts which employed the poet of the word tears and on its behalf of crying and sadness.
- Been searching employing these words in the pictures of poetry that depended on tears to express their sense of the poet lover and his emotional and stand on styles of expression that emerged in this subject and the research found the most important of the results of several
- Creativity of the poet in employing these words in the love poetry to express his sincere and sense delicate rather than parting loved and complaint abandoned and than beg the beloved
- .Emerged as styles expression adopted by the poet to express his psychological state the most important is question and repetition and dialogue and diagnosis of tears
- .appearance rhyme broken in that notice which expressed the loving tears of the poet

